

يسرةً ويمنةً، شرقاً وغرباً . وأنظر جانباً الى صنين وقد أثقلت
ذروتاه ثلوجٌ حوّها انعكاس الأشعة ثغراً نورانياً يُسرُّ الى صدر
الفضاء بما توصله اليه أصداءُ الغبراء من شكاية وتأوه . تنبثق من
جانبه سلسلة آكام تتساند مستديرة ، مستطيلة ، ناشزة ، وتظل
في انتقاص وتضاغر على انسجام وحسن دراية حتى تسجد بواقي
الصخور منها على الشاطئ . كأن أعالي صنين أنفذتها برسالة
الى البحر لتعود بالجواب عليها . والبحر ، آه ! ترى ماذا يقول
ذلك الأزرق الأفيح المائج بهدوء ودلال ، كأنه أرجوحة الأثير
تهزها أيادي آلهة الهواء لتنوم فيها طفلاً عجيباً دهشت بحاله
السموات وافتسّنت الأرضين بغرامه؟

نعم ، ها أنذا في ظهور الشوير بلبنان، ذلك المصيف الهنيء .
نحن في صميم القبط وقد تقاطر المصطافون حتى ضاقت بهم المنازل
والفنادق . والجماعات التي تباينت أفرادها علماء وتهذيباً وارتقاءً ،
وتنافرت عاداتٍ ومشاربٍ وأطباعاً، ها هي تعيش تحت سقف
واحد ، وتنبس في أمور جمّة نظاماً فرداً وضع لضيوف النزل
جميعاً . ومن هذا الاجتماع بالغرباء ، ومحاذاتهم أياماً وأسابيعٍ
وشهوراً ، والجلوس وإياهم حول مائدة واحدة مرةً بعد مرة ،
وحدةً تنشأ وتثبت بالتكرار ؛ فضلاً عن خبرة موفورة لدرس
أخلاق الناس ، وتمرينٍ ميسور في أساليب المعاملة والإرضاء .

بيد أنني بعد الأحاديثِ المسلية والضحكِ والإثتناس أظل
شاعرةً بفراغ واسع ، أظل متسائلةً ماذا يعرف أولئك